اشهر السجون العراقية في العهد الجمهوري

قصر النهاية ١٩٦٣-١٩٧٣م "انموذجا"

اعداد :الاستاذ الدكتور فؤاد طارق العميدي

م.م. عهد محمد العامري

جامعة بابل /كلية التربية للعلوم الانسانية /قسم التاريخ

الملخص

تحظى دراسة (سجن ومعتقل قصر النهاية) ١٩٦٣-١٩٧٣م بأهمية كبرى لتسليط الضوء على حقبة زمنية من تاريخ العراق المعاصر إذ إن هذا القصر اتخذ سجنا بعد أن شهد نهاية العائلة الملكية التي كانت تحكم العراق ومنها اطلق عليه قصر النهاية ليكون شاهدا على نهاية الكثير من الوطنيين بمختلف اتجاهاتهم وانتماءاتهم السياسية . وتهدف الدراسة الى توثيق تلك المعاناة والمآسي التي مر بها سجناء قصر النهاية .

Abstract

The study (The End Palace Prison and Detention Center) 1963-1973 is of great importance to shed light on a period of time in the contemporary history of Iraq, as this palace was taken as a prison after witnessing the end of the royal family that ruled Iraq and from which it was called the End Palace to be a witness to the end of many patriots of their various political tendencies and affiliations.

The study aims to document the suffering and tragedies experienced by the prisoners of Al-Niha Palace. To achieve this goal, the research was divided into three axes. The first axis dealt with the location of the palace and the second axis, the departments of the palace. As for the third axis, we talked about some different models of patriots and the methods of investigation and torture they were subjected to, which came under The title of the investigative committees is followed by the conclusion and a list of sources.

المقدمة :-

عندما تفتقد حرية التعبير عن الرأي وتزداد الهوة اتساعا بين الجماهير الواسعة وبين السلطة الحاكمة , تكتظ السجون بخيرة ابناء الشعب واكثرهم وعيا وادراكا والذين يتميزون بالحس الوطني والطبقي والقدرة على التضحية والاستعداد لها . فالسجن قيد دامي وسوط يلهب به ظهور اصحاب المعتقد وهو اسهل وسيلة لإبعاد المناضلين وعزلهم عن جماهيرهم والضغط عليهم. ولتحقيق هدف الدراسة تم تقسيم البحث الى ثلاثة محاور تناول المحور الاول موقع القصر والمحور الثاني اقسام القصر اما المحور الثالث فتحدثنا فيه عن بعض النماذج المختلفة للوطنيين وطرق التحقيق والتعذيب التي تعرضوا لها والذي جاء تحت عنوان اللجان التحقيقية تليه الخاتمة وقائمة المصادر .

معنى السجن لغة واصطلاحا:-

لم يخل تاريخ أي شعب من الشعوب من المكان الذي يحجز فيه الانسان ويعطل اداؤه اليومي لحياته الاجتماعية لأسباب شتى لا حصر لها . فكانت كلمة (السجن) هي الكلمة التي تختزن في مفهومها الواسع كلمات مصاحبة لها، مثل :الحجز و المحجر، والمعتقل، والحبس و الطامورة و سواها. و لتلك المفردات دلالاتها الخاصة والعامة في اللغة . ولكن تظل الدلالة الاعم والاشمل للكلمة (السجن) من دون باقي الكلمات.

السجن لغةً:-

ورد في معجم العين أن الحبس نقيض للتخلية ، وحَبَسه أي أمسكه من وجهه، وسجن الهم اذا لم يبثه، والسَّجن بالفتح المصدر سَجَنهُ سَجناً أي حَبَسَه، وفي الحديث: "ما من شيء أحقُ بطول سجن من لسانٍ" [١]والسِجنِ بالكسر المَحْبس[٢] ، أو البيت الذي يُحبسُ فيه السَّجين [٣] .

و يرد السَجن او الحَبس بلفظ الاعتقال ، فمن يعتقل لسانه هو ممسك له، واعتقل بمعنى حبس[٤].والمُعتَقل مكان الأسر أو الجزاء أو الاعتقال [٥] ومن المصطلحات التي تستعمل في السجون هي السّجَّان: صاحب السجن، ورجل سجين محبوس، وكذلك الأنثى بغير هاء، والجمع سُجناء وسَجنى ، وقال اللحياني: امرأة سَجين وسَجينة، أي مسجونة من نسوة، سجْنى، وسجائن ورجل سجين في قومٍ سجنى، وسِجيِّن فِعْيل من السّجن [٦].

السجن اصطلاحا:-

السجن مفهوم قديم ، وقد وردت الاشارة اليه في القرآن الكريم في سورة يوسف(عليه السلام) بآيات عدة [٧] ، وايضا في سورة الشعراء [٨] . ولا يخرج السجن في اصطـلاح الفقهاء وعرْفِهم عن المعاني اللغوية السالفة الذكر .

وَجِد السجن في جميع الأزمان والأمصار دون إنكار. وبرزت أهميته فيها والمصلحة من وجوده وإن اختلفت تلك المصلحة مع اختلاف وظيفته على مر الزمان.

والسجن اصطلاحا هو المكان الذي يسجن فيه الذين يحكم عليهم بارتكابهم الذنوب واقتراف الجرائم التي تستوجب السجن ويعترفون بارتكابها أو يتهمون بها فقط [٩]. او هو مكان مخصص لكي تنفذ فيه العقوبات المانعة للحرية وفقا لقواعد قانونية محددة [١٠]. وعند البعض يعد مؤسسة اجتماعية وجدت لغرض علاج سلوك المجرم واصلاحه[١١]. ورأى آخرون أن السجن ليس مجتمعا صغيرا مغلقا مؤلفا من جماعة من النزلاء ، وليس مجرد مكان او مؤسسة للعقاب والتقويم والاصلاح ، بل انه مكان فيه جماعة من الناس لدى أفرادها مصالح متضاربة ولهم متطلبات معيشية مادية ونفسية وترفيهية يجب إشباعها[١٢] .

فالسجن هو حجز الشخص في مكان من الامكنة ومنعه من التصرف بنفسه، حتى يتبيَن حاله او لخوف من هربه لاستيفاء العقوبة [١٣] . او هو كل محل يحجز فيه السجناء او يوحدون فيه ويشمل الاصلاحيات والمواقف التي تعدها مديرية السجون العامة [١٤].

اما السجين السياسي فيقصد به كل شخص يتم توقيفه او حجز حريته بسبب معارضته لنظام الحكم في الرأي أو المعتقد أو الانتماء السياسي أو تعاطفه مع معارضيه أو مساعدته لهم [١٥].

اولا: معتقل قصر النهاية :-

يقع القصرغربي محافظة بغداد ، مقابل منطقة الحارثية ضمن حي المنصور مابين معرض بغداد الدولي وبناية الدفاع المدني حاليا، على نهر الخر[١٦] . اذ كانت المنطقة عبارة عن مساحات فارغة ، بل انها اخر حدود بغداد آنذاك، وهي الان اخر حدود منطقة الكرخ ولا يوجد بالقرب منه الا قصر الزهور ، وقصر اخر يعود الى عبد الجبار محمود زوج الاميرة راجحة بنت الملك فيصل الاول سمي بقصر الاميرات في منطقة المنصور، على تلك المساحة من الارض اقيم عام ١٩٣٧ قصر ملكي حمل اسم قصر الرحاب، بني على نفقة العائلة المالكة، اذ تم انجازه تحت اشراف الوصي عبد الاله ، وجاءت تسمية ذلك القصر نسبة الى قرية اسمها الرحاب كانت مقر سكن العائلة الهاشمية في الحجاز . صمم القصر واشرف على بنائه مهندس معماري مصري ، يتكون القصر من عدة غرف لا تتجاوز في مجموعها السبع غرف ، وهن غرفة استراحة وغرفة طعام وغرفة مكتبة مع غرفة صغيرة في الممر وغرفتان للضيوف ، ومن ثم بني طابق ثانٍ له اشتمل غرفة استراحة وغرفة للنوم وغرفتين للضيوف .ويذكر ان العائلة المالكة بعد اكمال القصر طلبت من بلدية بغداد تبليط اجزاء من القصر ، لكن طلبها جوبه بالرفض كون القصر ملكا خاصا وليس حكومي ، فبلطه الامير عبد الاله على نفقة العائلة الخاصة [١٧] .

وتغير اسم القصر بعد اعلان الحكم الجمهوري في١٤تموز ١٩٥٨وصار يعرف بقصر النهاية لأنه شهد نهاية الحكم الملكي الذي قتل فيه الملك فيصل الثاني وخاله الامير عبد الإله وجدته الملكة نفيسة وبعض الاميرات وتعرض القصر الى اطلاق نار عنيف وضربات بالمدفع الهاون ادت الى حرقة ودمار بعض اجزائه، ثم تعرض الى عمليات نهب واسعة ، وتعددت أقاويل الناس بين بقاء القصر مهجورا طوال حكم عبد الكريم قاسم ، وبين تحويله الى مستشفى عسكري للأمراض الصدرية ومن ثم الى دائرة حكومية عرفت بمصلحة المصايف السياحية ، وتم للمرة الاولى تحويله الى سجن رهيب لممارسة ابشع الجرائم . إثر الانقلاب العسكري الدموي البعثي في ٨ شباط ١٩٦٣. ففي نحو عشرة اشهر، هي عمر الحكم البعثي الاول للعراق، نال المعتقل

سمعة رهيبة كمسلخ بشري للمعارضين اليساريين واشتهر من جلاديه منذ تلك المدة ناظم كزار[١٨] وعمار علوش وخالد طبرة وغيرهم من اعتى واشهر المجرمين المتمرسين في القتل والتعذيب والذين سيعودون اليه لاحقا بعد ١٩٦٨. اذ ان سقوط السلطة البعثية اثر انقلاب عسكري قاده رئيس الجمهورية عبد السلام عارف في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩٦٣ أسفر عن الغاء المعتقل بعده مطلبا عاجلا واعتقل الجلادون او هربوا فيما نقل المعتقلون اليساريون إلى معسكرات اعتقال جديدة اقل قسوة كسجون نقرة السلمان ،والحلة ،وبعقوبة ،والرمادي ،و الفضيلية وغيرها. وقد اصدرت السلطة في زمن عبد السلام عارف عام ١٩٦٤ **"الكتاب الاسود"** كشفت فيه عن ضخامة عمليات القتل التي ارتكبتها السلطة البعثية الاولى ولاسيما في معتقل قصر النهاية. وبعد اسقاط حكومة البعث في ١٨ /تشرين الثاني/ ١٩٦٣ من قبل عبد السلام عارف، الحق جزء كبير من القصر بمعرض بغداد الدولي كاستثمار سياحي يرتبط بمصلحة السياحة والمعارض العراقية ([١٩]).

لكن اغلاق قصر النهاية لم يدم طويلا. اذ، وبعد بضع سنوات فقط، رجع البعثيون الى السلطة بفضل نجاح انقلاب عسكري جديد لهم في ١٧ تموز ١٩٦٨ بقيادة احمد حسن البكر وصدام حسين. ومن هنا بدأت صفحة جديدة من صفحات السجن البشعة .

ثانيا: اقسام المعتقل :-

المعتقل يتكون من مجموعة أقسام:

١- البناية القديمة او كما يحلو للجلادين تسميتها بقصر الشباب وتحتلها ادارة المعتقل، غرفة العمليات وتوابعهـا .

٢- قاطع صغير ويتكون من سبعة اقبية (زنزانات) صغيرة انفرادية فضلا عن غرفة التعذيب الرئيسة التي يطلق عليها المعتقلون اسم «غرفة العمليات»، وتحتوي على انواع أدوات التعذيب. فتوجد فيها الآلات الكهربائية التي تستعمل للكي وثلاثة كراسٍ كبيرة حديدية يجلس عليها المتهم وتوثق اطرافه الاربعة الى مساند الكرسي ويضغط رأسه بطوق حديدي يرتبط بأعلى الكرسي، ويسكب على رأسه الماء البارد في الشتاء والماء الساخن في الصيف من شبكة المياه المثبتة في سقف الغرفة. وتوجد ايضاً في تلك الغرفة رافعة حديدية كبيرة (سلنك) مثبتة في ارض الغرفة يوثق المتهم بحبال يرتبط بها ويرفع عن الارض ويبقى متدلياً منها. وفي الدور العلوي من ذلك القاطع توجد ايضاً غرفة للتعذيب وملحق للادارة.
٣- قاطع اخر ويسميه «الشباب» بقاطع الجواسيس والمجرمين! ويتكون من ثلاث قاعات فضلا عن ٥٠ غرفة انفرادية.

٤- القاعة الرئيسة او كما تسمى بقاعة(المدللين) لأن ابواب غرفتها تفتح يومياً حوالي ٥ ساعات، ويسمح لبعض المعتقلين فيها بقراءة بعض الصحف الحكومية، وتوجد فيها مسجلة صوت تنشد الاناشيد الحماسية (!). تستوعب تلك القاعة اكثر من ٥٠٠ معتقل.
٥- قصر العميد عبد الجبار زوج احدى الاميرات من بنات فيصل الاول. ويرسل لذلك القصر من اصيبوا بحالات من الجنون، او الذين لا أمل في اطلاق سراحهم. ولا يوجد أي منفذ للهواء في اقبيته المؤصدة بأبوابها الحديدية، ولا تفتح الابواب اكثر من ٥ دقائق في اوقات الخروج الى المغاسل. ولا يستطيع السجناء التمييز بين الليل والنهار الا من خلال وجبات الطعام. فالمتعارف

عليه بأن (الشوربة) تقدم في الصباح، فاذا تقدمت علم السجين بأن الصباح قد حل! وتوجد في ذلك القصر ايضاً مجموعة من السراديب ترتفع فيها المياه حوالي قدمين ولا يسمع بها سوى اصوات المعذبين والعيارات النارية. [٢٠] .

٦- ألحقت بالقصر بناية جديدة تضم جناحين جناح يضم عدة قاعات كبيرة شغلها الشيوعيون وجناح يضم عشرات الزنازين وهو عبارة عن ممر طويل تقع على جانبيه زنازين مساحة كل زنزانة ٢- ١،٥ متر لا تتسع لأكثر من اثنين في أحدى نهايتيه مرافق صحية تضم عددا من المراحيض وحماما واحدا [٢١]

٧- يوجد سرداب في قصر النهاية ، ويعد من افظع الاماكن في المعتقل ، فهو مكان بارد رطب تعلو ارضه مياه اسنة ، وقد امضى بعض السجناء فيه عدة اسابيع اذ تم ايداعهم وابلغوا بانهم لن ينقلوا من السرداب مالم يسجلوا اعترافاتهم ومنهم الدكتور احمد والمحام حسن والمعلم كامل ، وقد جردوا من جميع ملابسهم وعصبت اعينهم وقيدت ايديهم الى الخلف ، كان طعامهم يقتصر على (قطعة خبز صغيرة الحجم) اما الماء فكان (لتبليل شفاههم فقط) [٢٢].

٨- اما المنفى فكان عبارة عن غرفة في سطح المعتقل يوضع فيها اصحاب الحالات الصحية الحرجة ليتم علاجها على يد الدكتور الذي يشارك احيانا كثيرة في تعذيب المعتقلين اثناء التحقيق ، يبدو ان معالجة السجناء لم تكن بدوافع انسانية بقدر الخوف من فقدان وضياع الاسرار التي يحملها المعتقلون الذين لا يمكن انتزاع الاعتراف منهم بسهولة [٢٣] .

اعترف كثير من المعتقلين على جرائم لم يقترفوها اصلا على الرغم من معرفتهم أن اعترافاتهم تلك توصلهم الى حبل المشنقة لأن جحيم التعذيب لا يطاق ولاسيما اذا كان التعذيب يجري في معتقل قصر النهاية وعلى ايدي جلادين مهرة ذوي حرفة عالية في فن التعذيب والابداع العالي في ذلك المجال، و بعد مجيء البعث في ٨ شباط ١٩٦٣ حولوا ذلك القصر الى معتقل كبير فقد الكثير من الشيوعيين والتقدميين حياتهم تحت سياط جلاديه كانت بناية القصر هي المكان الذي يمارس فيه الجلادون التحقيق مع المعتقلين بعد ان حولوا قاعة كبيرة فيه كانت تستخدم للعروض السينمائية لسكان القصر الى قاعة للتعذيب بعد ان جهزوها بالأدوات اللازمة لذلك ومن تلك الادوات(الكرين) الذي يرفعون فيه المعتقلين من ارجلهم او ايديهم ،وتركهم حتى يفقدوا وعيهم او ينهاروا من جراء قساوة التعذيب، والاعتراف حتى على اشياء لم يفعلوها اصلا من اجل التخلص من اساليب الجلادين القذرة و الالة الثانية هي (المنكنة) وهو كرسي متحرك مركب به جهاز شبيه بالمنكنه فوقها حنفية ماء يوضع المعتقل على الكرسي ويوضع رأسه داخل المنكنة ثم يقوم الجلاد بضغط رأس المعتقل بقوة فيها ،ويقوم بعد ذلك بفتح نقاط من الماء على رأس المعتقل. لقد فقد الكثير من المعتقلين حياتهم او عقولهم من تلك المنكنة لان قطرة الماء تعادل ضربة مطرقة ، فضلا عن الضرب بالكابلات ، وحرمان المعتقل من النوم بأساليب مختلفة منها فتح الماء البارد على ارضية القاعة في الشتاء وغلق كافة مصادر الهواء في ايام الصيف مما قد يسبب حالات اختناق كثيرة ([٢٤])

ثالثا : اللجان التحقيقية في قصر النهاية :-

كانت لجنة التحقيق حديثة التكوين ومنقسمة الى هيئتين .. الاولى .... يرأسها العقيد سامي خليل ويشرف عليها وهي مسؤولة عن" الجواسيس والعملاء" حسب تعريفهم لها وكان يساعده فيها حامد الورد التميمي ([xxv]) والهيئة الثانية.. كان يرأسها ناظم كزار وتعنى بالسياسيين المناهضين للحكم بحسب تعريفهم.

في بداية الامر كانت الهيئتان في مكان واحد داخل قصر النهاية وغرف وزنزانات الاعتقال في نفس المكان وكان يخلط ما بين المعتقلين لقلة الغرف ولكثرة عدد المعتقلين فقد كانت غرفة واحدة على سبيل المثال مساحتها لا تزيد عن العشرين مترا مربعا يحشر فيها ستون معتقلا ومتنفسهم شباك واحد او بالأحرى فتحة لا تزيد مساحتها عن ثلاثين سنتمترا تتموضع في اعلى الباب وكانت تحصل أغماءات كثيرة للمعتقلين من شدة الحر رغم ان الوقت كان شتاء([xxvi]) .

وكان السياسيون المعارضون للحكم "المعادين" من نصيب الهيئة الثانية التي يرأسها ناظم كزار صاحب الخبرة العريقة في التحقيق و اساليب التعذيب والجلاد المعروف منذ انقلاب شباط /١٩٦٣ ، وفي عضويتها كل من سالم الشكرة, و صباح مرزا واخرين تتراوح اسمائهم بين ناصر فنجان وجاسم حميدي, صباح بدن, ابو احلام, ابو فرانكو, سعدي العظيم ... وكانت مهمة هولاء الضرب وممارسة اعتى اساليب الايذاء والتعذيب والاهانة للمعتقلين ([xxvii]).

ومن ذكريات السجين عبد الحسن حسين يوسف[xxviii] في ذلك المعتقل عندما كان في غرفه رقم (١٧أ) بتاريخ ٢٢/ شباط /١٩٧٢م ، وكان الدكتور خلف اقدم منه في المعتقل ويعرف بعض المعلومات عن الغرف المجاورة الى غرفتهم، " فكان في الغرفة رقم(٢٧) المقابلة لغرفتنا اثنين من الاخوة الكرد، ومن اهالي اربيل رجل كهل صاحب فندق مع احد عماله وكانت تهمتهم هي قتل احد رجال الامن البعثيين الذي ينزل في فندقهم ، وقد شرحوا لخلف كيف قتلوه ثم نقلوه ليلا الى احد الوديان القريبة من اربيل والقوه هناك وقد جرف الماء جثته الى جهة مجهولة وكانوا ينتظرون اعدامهم في اي لحظة.. وفي احدى الليالي من الشهر الرابع من سنة ١٩٧٢ استدعاهم حسن المطير رئيس الهيئة التحقيقية الثانية في المعتقل اقتنعنا ان ساعة اعدامهم قد قربت وتلك هي نهايتهم الا انهم بعد ساعة قد عادوا فرحين وبدءوا يهيئون انفسهم للخروج من المعتقل.. وعندما استطاع زميلي سؤالهم خلسة عن الجلادين قالو له ان شرطي الامن الذي اعترفنا اننا قتلناه حي يرزق وانه الان موجود في غرفة التحقيق وقد برئنا من تهمة قتله وعندما سألهم زميلي الم تقولوا انكم قتلتموه والقيتم بجثته في الوادي قال الرجل الكهل يا دكتور ان التعذيب لا يطاق وهو فوق تحملنا فاتفقنا على تلك الرواية حتى نتخلص من التعذيب حتى لو وصلنا الى حبل المشنقة وعندما سألهم زميلي واين كان الشرطي طوال تلك المدة قالو لقد كان مختطفاً من قبل تيار من البيشمركة لا يعترف باتفاقية آذار واطلقوا سراحه لأسباب نجهلها" [xxix].

تلك الحادثة تدعو للتفكير كم من العراقيين وصلوا الى حبل المشنقة او ماتوا تحت التعذيب دون ان يرتكبوا اي ذنب واعترفو ا على جرائم لم يرتكبوها اصلا تخلصا من تعذيب البعثيين؟

وكان ناظم كزار مدير الامن العام و حسن المطير يعرفون ذلك جيدا ولذلك كان تعاملهم مع المعتقلين في منتهى القسوة والشدة. يساعدهم مجموعة من بينهم سالم الشكرة ، وسعد ابن المغنية وحيدة خليل ، وعبد حاشوش ، واشخاص اخرون ، وكان خضير يتميز بوزنه الزائد فيعذب المعتقلين بالجلوس على صدورهم ويمنعهم من التنفس . وكانت تلك الهيئة مسؤولة عن

التحقيق مع الشيوعيين وكثير من التقدميين ومنهم البعثيون المنشقون عنهم والذين يسمون انفسهم باليساريين . ويذكر السجين عمر فاضل بأنه تعرض للتعذيب والضرب اثناء التحقيق وتم حجزه بزنزانة انفرادية في (قاطع أ)المتكون من ٢٢ غرفة والذي خصص للمعتقلين من البعثيين اليسار ،بينما (قاطع ب) فقد خصص للمعتقلين القوميين ،فيما خصص (قاطع ج) للمعتقلين من التنظيمات الاخرى[xxx] .

اما الهيئة التحقيقية الاولى فكانت مهمتها التحقيق مع المتهمين بالتجسس والتنظيمات البهائية والماسونيين وهي بأمرة سعدون شاكر وناظم كزار [xxxi] .

في شهر حزيران من عام ١٩٧٢ قام البعث بحملة اعتقالات على ابناء شعبنا الكردي ، على الرغم ان اتفاقية الحادي عشر من آذار سارية المفعول بين الحزبين (البعث والديمقراطي الكردستاني) فسيق المئات منهم الى المعتقلات البعثية ومنها قصر النهاية، فقام رجال الامن في المعتقل بتجميع المعتقلين القدامى في الغرف الانفرادية قاطع(أ ، ب ،ج) في قاعتين كبيرتين وحل بدلهما النزلاء الجدد من الاحزاب الكردية كان ضمن القاعه الثانية مع عدد كبير من الشيوعيين والقوميين والبعثيين المؤيدين الى سوريا(البعث اليسار) على راسهم (محسن العزاف)عضو القيادة القومية في بعث اليسار وهاشم الاشيقر من قياداتهم ومن الشيوعيين علوان جبر حبيب مسؤل اربيل والقائد العمالي البارز جبار شلش (ابوعادل) وتنظيمات قيادة محلية مدينة الناصرية وهم كل من كاظم منخي، وحسن جبارة ،وقاسم شناوة ، وعبد الرحمن جبر، وكريم خميس، وبعض الافراد من التنظيمات الدينية ،وخليط من الافراد لا يعرفون حتى اسم الحزب الذي ينتمون اليه ولا يفهمون شيء عن السياسة اصلا جيء بهم من خلال تقارير بعثية من اماكن عملهم اومناطق سكناهم[xxxii] .

كانت الايام الاولى لتواجد المعتقلين بالقاعة هي مدة حذرة جدا لتحديد علاقاتهم بالاخرين الا انهم كانوا يتكلمون بهمس خوفا من الوشاة الذين بدأوا يتكاثرون بالقاعة بتوجيه من الجلادين فكان التعذيب والسب شبه يومي للمعتقلين من الشيوعيين فقط دون القوى الاخرى بحجج وذرائع واهية يخترعها الجلادون ولكن وجودهم مجتمعين سهل عليهم تحمل تعذيبهم وكل واحد منهم يشد ازر الاخر ويقوي من معنوياته وكان جبار شلش (ابو عادل) اكثرهم تعرضا للضرب حتى ان الجلادين يعرفونه جيدا فلا تخلو وجبة ضرب يومية الا ويكون ابو عادل على رأسها وله حصة الاسد ، ولكنه على الرغم من ذلك صاحب عزيمة لا تلين يقوى من معنويات زملاؤه ويذكرهم بصمود من سبقوهم من الشيوعيين ودفعوا حياتهم ثمنا لصمودهم وعندما اطلق سراح المعتقل جبار شلش فرح زملاؤه كثيرا لان صحته بدأت تنهار وقدميه تحولتا الى كتلة من اللحم المشوه واظافر قدميه تنمو بدون لحم من تحتها[xxxiii].

من الأسماء البارزة التي اعتقلت وعذبت في قصر النهاية

١- عبد الرحمن البزاز رئيس وزراء سابق

٢- شاكر محمود شكري وزير دفاع سابق

٣- شقيق شاكر محمود شكري

٤- همام ألمراني *شيوعي* من الصابئة

٥- سامي أحمد أبو وميض *شيوعي *

٦ – حاتم سجان *شيوعي*

٧- محمد كريم *شيوعي*

٨- فائق الياس *شيوعي*

٩- صالح العسكري *شيوعي

١٠- عزيز الحاج *شيوعي*

١١- غازي أنطوان * شيوعي*

١٢- كريم جبار * شيوعي *

١٣- عزيز فعل ضمد (مناضل فلاحي شيوعي)

١٤- صباح الياس *شيوعي*

١٥- باسم أنطوان شيوعي من نينوى والعشرات من كوادر وقواعد القيادة المركزية .

وكذلك العشرات من الطائفة اليهودية العراقية وأبرزهم التاجر إبراهيم شاشا وولده الذي قتلوه و رموا جثته من الطابق العلوي للقصر ([xxxiv]) .

والذين كانت تهمهم تجسساً جميعهم أُعدموا وفيهم الكثير من الطبقات الكادحة وأبرياء ولا يعرفون شيئا عن سبب اعتقالهم نذكر منهم اسماء مجموعة من السجناء ممن انتهت حياتهم تحت التعذيب وهم كل من

١- مطشر حوّاس اعدم في شهر كانون الثاني / ١٩٦٩,
٢- متي هندي مات تحت التعذيب في شهر كانون الثاني /١٩٦٩
٣- سامي الجصاني مات تحت التعذيب في شهر شباط / ١٩٦٩,
٤- هاشم الالوسي مات تحت التعذيب فب شهر شباط /١٩٦٩,
٥- نوري كمال العاني مات تحت التعذيب في شهر شباط / ١٩٦٩.
٦- جبار محمد الربيعي مات تحت التعذيب في شهر شباط / ١٩٦٩,
٧- شعبان كريم مات تحت التعذيب في شهر شباط / ١٩٦٩,
٨- فائق الياس مات تحت التعذيب في شهر شباط / ١٩٦٩,
٩- وردة داوود مات تحت التعذيب في شهر شباط / ١٩٦٩,
١٠- عادل التميمي مات تحت التعذيب في شهر شباط / ١٩٦٩ ([xxxv]) .

قامت السلطة بتصفية المعتقل وتهديمه عام ١٩٧٣،بعد مؤامرة مدير الامن العام ناظم كزار الانقلابية [xxxvi] ، اذ دعيت الصحافة والتلفزيون لزيارة الانقاض وشاهد الحاضرون ما يدل على آثار التعذيب وشعارات وذكريات تزين جدرانه وزواياه. ولكن ما جرى تهديمه لم يكن الا جزءا من المعتقل، بينما ظل الجزء الاكبر سليما ليجري تطويره مرة اخرى واستخدامه كمعهد

تدريبي للطلاب الذين كان يتم اعدادهم كضباط مخابرات «معهد مديرية المخابرات للتدريب» ليصبح قصر النهاية احد اهم المراكز الامنية والمخابراتية لحفظ المعلومات في البلاد .وفيها ذاق العراقيون كل أصناف الموت أيضاً . أنها أبشع معتقلات العراق في زمن صدام حسين .. وبعد تصفية ناظم كزار وأتباعه , تم تحويل كل دوائر الأمن ومقرات حزب البعث الى ما يشابه قصر النهاية ....

الخاتمة

١- قصر النهاية :هو قصر الرحاب الذي كان يسكنه الأمير عبد الإله الوصي على عرش العراق ،وقد سمي بقصر النهاية لأنه شهد نهاية العهد الملكي في ١٤تموز١٩٥٨م،إذ قتل فيه الملك فيصل الثاني وخاله عبد الإله وجدته الملكة نفيسة(والدة عبد الإله)وبعض الأميرات .

٢- اتخذ القصر كمعتقل بعد المؤامرة ضد عبد الكريم قاسم في ٨شباط ١٩٦٣م،وجرت فيه تحقيقات وتعذيب واغتيالات. ومن ثم استخدم مقراً لمديرية السياحة العامة .

٣- تحول قصر نهاية الى معتقل مرة اخرى بعد انقلاب ١٧ تموز١٩٦٨م،ضم العديد من المعتقلين ومن كل الجهات بعد ان بنيت فيه زنزانات كثيرة . ومن اشهر المعتقلين فيه عبد الرحمن البزاز (رئيس وزراء سابق)وطاهر يحيى(رئيس وزراء سابق)واللواء الركن عبد العزيز العقيلي(وزير دفاع سابق) وفؤاد الركابي (اول امين سر قيادة قطرية في العراق) وغيرهم كثيرون .

٤- اكتسب المعتقل شهرته مما كان يجري فيه من شتى انواع وصنوف التعذيب الجسدي والنفسي بأجهزة فنية متطورة يقوم عليها جهاز متخصص ومتدرب على وسائل التعذيب الحديثة

٥- قامت السلطة بتصفية المعتقل وتهديمه عام ١٩٧٣،بعد مؤامرة مدير الامن العام ناظم كزارلتنطوي صفحة من صفحات الظلم والاستبداد وتفتح بعدها صفحات اكثر ظلما واستبداد في مدة حكم النظام البائد .

الهوامش

(١)الخليل بن أحمد الفراهيدي, العين, تحقيق: عبد الحميد هنداوي, ج٢, دار الكتب العلمية , بيروت ، ٢٠٠٣.ص٢١٨.

(٢) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي،ج٣٥، مطبعة الفيصل، الكويت ، ٢٠٠١، ص١٦٩.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون،ج١٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٦، ص٢٠٣.

(٤) المصدر نفسه، ج ٦ ،ص٤٤.

(٥) المصدر نفسه، مادة اعتقل وعقل ، ج١١ ، ص٤٢٩.

(٦) احمد طاهر الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط،ج٢، ط٤، دار عالم الكتب، الرياض، ١٩٩٦م، ص٥٢٦.

(٧) القرآن الكريم ، الآيات (٢٥، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٣٩، ٤١، ٤٢، ١٠٠).

(٨) القرآن الكريم ، سورة الشعراء ، الآية، ٢٩.

(٩) المعلم بطرس البستاني ، دائرة المعارف الإسلامية ،ج٩، مطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٨٨٧، ص٥٠٨.

(١٠) محمود نجيب حسني، السجون اللبنانية في ضوء النظريات الحديثة في معاملة السجناء، جامعة بيروت العربية، لبنان ١٩٧٠.، ص٣.

(١١) عبد الرزاق صالح محمود، الواقع الصحي لنزلاء سجن بادوش المركزي في محافظة نينوى دراسة تقويمية ، مجلة دراسات موصلية ، مج ١٣، العدد٤٤، بتاريخ نيسان ٢٠١٤، ص١٠٢.

(١٢) عبدالله عبد الغني غانم ، مجتمع السجن –دراسة انثروبولوجية ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ،مصر،١٩٨٥، ص١٤؛ نوري ياسين هرزاني ؛ارام ابراهيم ، طبيعة العلاقات الاجتماعية بين المحكومين داخل مجتمع السجن ،مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية ،مج٢،العدد:١، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين ،٢٠٠٤،ص١٣.

(١٣) عدنان حسين احمد، ادب السجون خلال سنوات الحكم الدكتاتوري في العراق (١٩٦٣-٢٠٠٣) ، دار الحكمة ، لندن ،٢٠١٤، ص ٢٠؛ نوري ياسين هرزاني ،ارام ابراهيم، المصدر السابق ،ص ١٣.

(١٤) وزارة العدلية ، مجموعة القوانين والانظمة، قانون السجون العراقية رقم ٦٦ لسنة ١٩٣٦م، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٣٦، ص٤١٠؛ الوقائع العراقية ، العدد ١٥١٣، بتاريخ ٥/ايلول/ ١٩٣٦م.

(١٥) الوقائع العراقية، قانون مؤسسة السجناء السياسيين ، العدد٤٠١٨، بتاريخ ٦/اذار/٢٠٠٦، ص١٥ ؛ عبد الله سليمان علي ، حقيقة الاعتقال السياسي ، مركز دمشق للدراسات والحقوق المدنية ، بتاريخ ٢٧/ايلول /٢٠٠٩. www.mokarabat.com

(١٦) كان نهر الخر، أو ما يعرف "بشطيط" يمتد تاريخه الى العهد العباسي ، يقع في بدايات القرن الماضي، خارج الحدود الإدارية لبغداد وحتى الخمسينات منه، وبعد التوسع الحاصل في المدينة دخل ضمن حدودها، ويبدأ بالدخول الى بغداد من مدينة الكاظمية وتحديدا من منطقة المحيط ماراً بمناطق الغزالية والعدل والوشاش والمنصور، ثم قصر الرحاب الملكي "المخابرات لاحقا" ثم الحارثية خلف ثانوية الكندي السابقة بجانب قصري الزهور والقادسية قبل ان يصب في نهر دجلة في منطقة الجادرية. وكانت تتفرع من النهر وتصب فيه قنوات وأنهر صغيرة كثيرة، منها قناة الداودي التي كانت تلتقي به قريبا من جسر الخر، و يتفرع منه نهر المسعودي الذي كانت آثاره باقية حتى فترة قريبة، اذ يمر قريبا من جامع براثا، ثم من خلف جامع

الشيخ معروف الكرخي، ليصل الى قنطرة مقابل محطة تعبئة الوقود في منطقة العلاوي باتجاه جامع بنّية الحالي، ثم يستمر في جريانه ليصب في دجلة. وبمرور الزمن تحول النهر الى مبزل وبدأ عرض حوض النهر بالتقلص حتى وصل الى نحو ٥ أمتار في السبعينات.. وجرت عدة محاولات لتنظيف النهر.. لكن دون جدوى اذ أصبح مجمعاً للفضلات والمياه الآسنة. الى ان تم طمره نهائياً عام ٢٠٠٢ بعد المباشرة ببناء القصر الرئاسي آنذاك. ينظر: جريدة الاعلام العراقي ،بتاريخ ١٨/كانون الاول /٢٠١٨م AL- aelam AL- iraqi

(١٧) عبد الجبار العتابي ، فيه ٣٠ غرفة لاغتصاب النساء واحواض للتيزاب وكلاب شرسة ومثرمة . كنوز ميديا ،بتاريخ ٢١/ كانون الاول / ٢٠١٧ Knoozmedia.com

(١٨) ناظم كزار لازم العيساوي ولد عام ١٩٣٩ في العمارة ، اكمل دراسته في بغداد، دخل كلية الطب عام ١٩٥٧م بعد حصوله على معدل ٩٦% ،تعرض للاعتقال عام ١٩٦١ عندما كان طالبا وتم ترقين قيده ، فالتحق بكلية الهندسة ورقن قيده كذلك بسبب الاعتقال اذ انه اعتقل مايقارب العشر سنوات من عمره الذي لم يتجاوز الثلاث والثلاثين عاما، و تعرض لمحاولة قتل وسحل في بداية الستينيات من القرن الماضي ، ثم التحق بعد ذلك بمعهد الهندسة الصناعي العالي (الجامعة التكنلوجية لاحقا) ، ثم اكمل دراسته في الجامعة التكلنوجية ليتخرج من كلية الهندسة قسم الكهرباء ، علما انه انضم الى صفوف حزب البعث في شبابه ، وبعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣م تم تعيينه مديرا لهيئة التحقيق مع الشيوعيين، وحينها اظهر موهبة وقدرة فائقة في انتزاع الاعترافات من المتهمين ، وفي عام ١٩٦٨م شغل منصب مدير الامن العام ، وتولى تصفية خصوم السلطة ، واصبح عضوا في القيادة القطرية لحزب البعث ،وعضوا لتنظيمات الامن والشرطة في المكتب العسكري التابع لحزب البعث ، وبسبب قيامه بمحاولة اغتيال لرئيس الجمهورية احمد حسن البكر عام ١٩٧٣م تم اعدامه من قبل السلطة . للمزيد ينظر: محمود كزار العيساوي ، محطات في سيرة حياة ناظم كزار

١٩) عبد الجبار العتابي ، قصر النهاية الرهيب حكايات الرعب التي عاشها العراقيون ،مجلة الشبكة العراقية بتاريخ ٢٢ ايار ٢٠١٦.

(٢٠) قصر النهاية.. الرمز الاكبر لفاشية البعث ، حسين الهنداوي الحوار المتمدن-العدد: ٤١٥٨ - ٢٠١٣ / ١٩.

(٢١)عبد الكريم فرحان ، حصاد ثورة ،مذكرات تجربة السلطة في العراق (١٩٥٨-١٩٦٣) ،ط٢،دار البراق ، لندن ،١٩٩٦، ص ٢٤٩.

(٢٢) شاكر خصباك، السؤال، دار الحداثة للطبع والنشر ، بيروت، ١٩٩٠، ص ٨٦

(٢٣) المصدر نفسه، ص٨٦ .

(٢٤) عبد الحسن حسين يوسف ،ولد في مدينة الناصرية عام ١٩٥٠ ، عضو في الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية) سنة ١٩٦٨ ، اعتقل في قصر النهاية لمدة ٣ سنوات ، رئيس تحرير جريدة بلاغ الشيوعية

حاليا . ذكريات لا يمحوها الزمن (ايام في معتقل قصر النهاية ، الحوار المتمدن، بتاريخ ١٠/كانون الثاني/٢٠١٢.

(xxv) ا اعدمه صدام حسين في الثمانينات وكان برتبة لواء في الجيش..

(xxvi) فياض الموزان, النهاية في البداية حول العنف السياسي, د.م, بغداد، ٢٠١٧.

(xxvii) المصدر نفسه.

(xxviii) محمد الحسيني الشيرازي ، كفاحنا ، ط١، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر ،بيروت ،٢٠٠٢ ، ص٣٢

(xxix)عبد الحسن حسين يوسف ، ذكريات لايمحوها الزمن (ايام في معتقل قصر النهاية ، الحوار المتمدن، بتاريخ ١٠/كانون الثاني/٢٠١٢ .

(xxx) مقابلة عبر موقع الماسنجر مع السجين السياسي عمر فاضل، بتاريخ ١/ اذار/٢٠٢٠

(xxxi) المصدر نفسه.

(xxxii)عبد الحسن حسين يوسف ، ذكريات لا يمحوها الزمن (ايام في معتقل قصر النهاية ، الحوار المتمدن، بتاريخ ١٠/كانون الثاني/٢٠١٢.

(xxxiii) كريم الزكي، كن هناك في معتقل قصر النهاية ، مركز حق الحياة لمناهضة عقوبة الاعدام ، بتاريخ ٢٨/ نيسان/ ٢٠١٨. www.rtladp.org

(xxxiv) المصدر نفسه.

(xxxv) المصدر نفسه .

(xxxvi) مؤامرة استهدف فيها ناظم كزار قتل احمد حسن البكر في مطار بغداد الدولي بعد عودته من زيارة رسمية لبلغاريا، لكن عودته تأجلت بعد اكتشاف ما سمي بمؤامرة ناظم كزار بفضل وشاية من المخابرات السوفيتية، وكان ذلك بمثابة الفرصة الذهبية المؤاتية لثنائي البكر/ صدام حسين لالقاء كل تبعات القمع السياسي والتعذيب الوحشي التي عرفتها البلاد على عاتق المشرفين على قصر النهاية ولاسيما ناظم كزار.للمزيد عن المؤامرة انظر : سيف الدين الدوري ،اللغز في اعدام ناظم كزار وعبد الخالق السامرائي واربعة اخرين من اعضاء مجلس قيادة الثورة ١٩٧٣-١٩٧٩، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ،٢٠١٤.

المصادر

ـــــ القران الكريم

اولا: الوثائق

وزارة العدلية ، مجموعة القوانين والانظمة، قانون السجون العراقية رقم ٦٦ لسنة ١٩٣٦م، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٣٦

ثانيا: الموسوعات والمعاجم

١. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون،ج١٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٦، ص٢٠٣.
٢. احمد طاهر الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط،ج٢، ط٤، دار عالم الكتب، الرياض، ١٩٩٦.
٣. الخليل بن أحمد الفراهيدي, العين, تحقيق: عبد الحميد هنداوي, ج٢, دار الكتب العلمية , بيروت ، ٢٠٠٣
٤. محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي،ج٣٥، مطبعة الفيصل، الكويت ، ٢٠٠١، ص١٦٩.
٥. المعلم بطرس البستاني ، دائرة المعارف الإسلامية ،ج٩، مطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٨٨٧.

ثالثا: الكتب العربية

١. شاكر خصباك، السؤال، دار الحداثة للطبع والنشر ، بيروت، ١٩٩٠.
٢. عبد الكريم فرحان ، حصاد ثورة ،مذكرات تجربة السلطة في العراق (١٩٥٨-١٩٦٣) ،ط٢،دار البراق ، لندن ،١٩٩٦،ص ٣٠.
٣. عبدالله عبد الغني غانم ، مجتمع السجن –دراسة انثروبولوجية ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ،مصر،١٩٨٥.
٤. عدنان حسين احمد، ادب السجون خلال سنوات الحكم الدكتاتوري في العراق (١٩٦٣-٢٠٠٣) ، دار الحكمة ، لندن ،٢٠١٤.
٥. عدنان حسين احمد، ادب السجون خلال سنوات الحكم الدكتاتوري في العراق (١٩٦٣-٢٠٠٣) ، دار الحكمة ، لندن ،٢٠١٤.
٦. فياض الموزان, النهاية في البداية حول العنف السياسي, د.م, بغداد، ٢٠١٧
٧. محمد الحسيني الشيرازي ، كفاحنا ، ط١، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر،بيروت ،٢٠٠٢
٨. محمود كزار العيساوي ، محطات في سيرة حياة ناظم كزار،د.م،د.ت.
٩. محمود نجيب حسني، السجون اللبنانية في ضوء النظريات الحديثة في معاملة السجناء، جامعة بيروت العربية، لبنان ،١٩٧٠.

رابعا:- البحوث

١. عبد الرزاق صالح محمود، الواقع الصحي لنزلاء سجن بادوش المركزي في محافظة نينوى دراسة تقويمية ، مجلة دراسات موصلية ، مج ١٣، العدد٤٤، بتاريخ نيسان ٢٠١٤.

٢. نوري ياسين هرزاني ؛ارام ابراهيم ، طبيعة العلاقات الاجتماعية بين المحكومين داخل مجتمع السجن ،مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية ،مج٢،العدد:١، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين ،٢٠٠٤.

خامسا: الصحف

١. الوقائع العراقية ، العدد ١٥١٣، بتاريخ ٥/ايلول/ ١٩٣٦م.

٢. الوقائع العراقية، قانون مؤسسة السجناء السياسيين ، العدد٤٠١٨، بتاريخ ٦/اذار/٢٠٠٦.

سادسا:المقابلات

١- مقابلة عبر موقع الماسنجر مع السجين السياسي عمر فاضل، بتاريخ ١/ اذار/٢٠٢٠.

سابعا : المواقع الالكترونية

١. جريدة الاعلام العراقي ،بتاريخ ١٨/كانون الاول /٢٠١٨م AL- aelam AL- iraqi

٢. عبد الجبار العتابي ، فيه ٣٠ غرفة لاغتصاب النساء واحواض للتيزاب وكلاب شرسة ومثرمة . كنوز ميديا ،بتاريخ ٢١/ كانون الاول / ٢٠١٧ Knoozmedia.com

٣. ـــــــ، قصر النهاية الرهيب حكايات الرعب التي عاشها العراقيون،مجلة الشبكة العراقية بتاريخ ٢٢ ايار ٢٠١٦.

٤. عبد الحسن حسين يوسف ، ذكريات لا يمحوها الزمن ايام في معتقل قصر النهاية ، الحوار المتمدن، بتاريخ ١٠/كانون الثاني/٢٠١٢ .

٥. عبد الله سليمان علي ، حقيقة الاعتقال السياسي ، مركز دمشق للدراسات والحقوق المدنية ، بتاريخ ٢٧/ايلول /٢٠٠٩. www.mokarabat.com

٦. قصر النهاية.. الرمز الاكبر لفاشية البعث ، حسين الهنداوي الحوار المتمدن-العدد: ٤١٥٨ - ٢٠١٣ / ١٩.

٧. كريم الزكي، كن هناك في معتقل قصر النهاية ، مركز حق الحياة لمناهضة عقوبة الاعدام ، بتاريخ ٢٨/ نيسان/ ٢٠١٨. www.rtladp.org